

السؤال

جاء في سنن الترمذي (2899) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبَاءَهُ على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إني ضربتُ خِبَائِي على قبرٍ ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هِيَ الْمَانِعَةُ ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) . ألا يعني هذا أن أولياء الله الصالحين أحياء في قبورهم ويمكنهم قراءة آيات القرآن أو أي شيء آخر والذي يمكننا أن نسمعهم و ربما يسمعون ما نتكلم به ؟ أنا متحير هذا ما يقوم به الصوفية أو البريولية بخداع الناس و جعلهم يعتقدون أن الاموات يمكنهم السماع و المساعدة .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

روى الترمذي (2890) ، والبيهقي في " الشعب " (2280) ، والطبراني في " المعجم الكبير " (12801) ، وأبو نعيم في " الحلية " (3/81) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَفْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَفْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمَلِكِ حَتَّى خَتَمَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هِيَ الْمَانِعَةُ ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) .

وقال البيهقي :

" تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ عَمْرٍو ، وَكَيْسَ بِالْقَوِيِّ " انتهى .

ويحي هذا ، قد قال فيه ابن معين وأبو زرعة وأبو داود والنسائي والدولابي : ضعيف ، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه ، وقال أحمد بن حنبل : ليس هذا بشيء ، وقال الساجي : منكر الحديث .
" تهذيب التهذيب " (260 /11) .

وأبوه عمرو بن مالك النكري ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه ، يخطئ ويغرب .
" تهذيب التهذيب " (8 / 96) .

فهذا الحديث ضعيف لا يحتج به ، وقد ضعفه البيهقي كما تقدم ، وكذا ضعفه الألباني في " ضعيف سنن الترمذي " ، وقال المباركفوري رحمه الله : " فِي سَنَدِهِ يَحْيَى بْنُ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ " انتهى من " تحفة الأحوزي " (8 / 161) ..
وأما قوله : (هِيَ الْمَانَعَةُ تَنْجِيهِهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) فقد صح من قول ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه الحاكم (3839) وصححه ، ووافقه الذهبي .

ثانيا :

أولياء الله من الأنبياء والشهداء والصالحين يحيون في قبورهم حياة برزخية ، ليست كحياتنا الدنيا ، ولا تضرب لها الأمثال لمحاولة تقريبها ومعرفة كنهها ، فإن حقيقتها لا يعلمها إلا الله .

قال علماء اللجنة للإفتاء :

" حياة الأنبياء والشهداء وسائر الأولياء : حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله ، وليست كالحياة التي كانت لهم في الدنيا " انتهى من " فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى " (1 / 173-174) .

راجع إجابة السؤال رقم (148285) .

ثالثا :

لم يثبت في النصوص الشرعية ما يدل على أن الصالحين يقرءون القرآن في قبورهم ، فلا يجوز القول بذلك بغير علم ، وما يورده البعض من منامات في ذلك ، أو أنه مرّ بفلان في قبره وهو يقرأ القرآن ، ونحو ذلك فلا حجة فيه ؛ فإنه ليس في موضع الحجة أصلا لو كان صدقا ، ولأنه ربما كذب فيما يحكيه ، وربما توهم أمرا لا حقيقة له ، وربما أراه الشيطان ذلك في منامه ليلبس به عليه ، وعلى الناس ، وحياة البرزخ كما قدمنا لا يعلمها على الحقيقة إلا الله .

رابعا :

الأصل عدم سماع الأموات كلام الأحياء ، كما أن الأحياء لا يدرون عن أمر الأموات شيئا ، إلا ما ورد فيه النص ؛ لأن أمر البرزخ من أمر الغيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

وإنك لتمر بقبور المشركين فلا تحس منهم من أحد ، ولا تسمع لهم صوتا ، وهم في الحقيقة يعذبون في قبورهم .

ويدفن الرجل الصالح من المسلمين بجوار الظالم ، فيرحم الله الأول ويفسح له في قبره ، وينور له فيه ، ويكون عليه روضة من رياض الجنة ، ويعذب الثاني الظالم ، ويضيق عليه قبره ، ويكون عليه حفرة من حفر النيران ، ثم لا يختلط حال أحدهما بحال صاحبه ، ولا يشعر الناس بأي منهما .

وأما أنهم يسمعون ، ويعلمون بأحوال الدنيا : كالأحياء ، فباطل محض ، لا دليل عليه من أثر ، ولا نظر ؛ وأبعد منه في البطلان ، وأدخل في الضلال : قول من يقول : إنهم يسمعون ، ويستجيبيون .

قال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء :

" الأموات عموماً ، بما فيهم الأنبياء عليهم السلام : لا يسمعون من يناديهم سماع قبول وامتنال ، فلا يمكنه إجابة الداعي ، ولا امتثال ما أمر به أو نهى عنه ، وهذا هو الذي نفاه الله بقوله تعالى : (فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى) ، أما ما جاء في الصحيحين عن الميت إذا وضع في قبره ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه) ، وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى يوم بدر من المشركين عندما سحبوا ، وألقي بهم في قليب بدر ، فقال لهم : (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟) وقال : (إنهم يسمعون الآن ما أقول) ، ومثل سماع الميت للملكين عندما يوضع في قبره فيسألونه عن دينه ونبيه.. إلخ ، ونحو ذلك مما ورد به الشرع ، فإن الميت يسمعه سماعاً برزخياً ، الله أعلم بكيفيته ، وليس سماعاً دائماً للميت ، بل في هذه الحالات الخاصة ، وليس سماعه كسماعه في الحياة الدنيا ، بل هو خاص بأحوال البرزخ ، ولا يعلم كيفية ذلك إلا الله ، ولا يترتب على هذا السمع نفع الميت أو ضرره للحي ، إذ لا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه ، وأما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي ، حتى أرد عليه السلام) فذلك خاص به صلى الله عليه وسلم ، ولا يترتب على ذلك نفع النبي صلى الله عليه وسلم للحي ولا ضرره ؛ إلا ما يحصل من الثواب من الله سبحانه لمن صلى وسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا يطلب منه صلى الله عليه وسلم في قبره ما يطلب منه في الدنيا من قضاء الحاجات وحل المشكلات ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يطلبون منه ذلك لعلمهم أنه لا يجوز " انتهى من " فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية " (2/456-457) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الميت لا يسمع إذا دعي ، وإذا نودي ، بحيث يجيب من دعاه ، وهذا هو المقصود من قوله (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى) " انتهى من " فتاوى نور على الدرب - لابن عثيمين " .

وينظر للفائدة إلى إجابة السؤال رقم : (128322) ، ورقم : (153666) .

خامساً :

هذه الطوائف من الصوفية والبريولية طوائف خارجة عن منهاج النبوة ، طوائف مبتدعة ، مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وسنته ، وما كان عليه السلف الصالح .

ولمعرفة أحوال الصوفية ، والموقف منهم : راجع إجابة السؤال رقم : (118693) . وللتعرف على الطائفة البريولية ومعتقداتهم راجع إجابة السؤال رقم (1487) .

والله أعلم